
قبس من نور الصحابة والتابعين

د. محمود جيلاني



الإمام الشافعي

المحتويات

- 3.....مقدمة
- 4.....الشافعي في صباه
- 6.....الشافعي بحر العلم
- 8.....الشافعي الإنسان
- 10.....الشافعي ذو النفس المرحة
- 11.....الشافعي الحكيم الشاعر
- 12.....الشافعي تلميذ لمالك بالمدينة
- 14.....الشافعي في اليمن
- 16.....محنة الإمام الشافعي
- 18.....الشافعي في بغداد
- 19.....الشافعي وأخلاق العالم
- 20.....الشافعي في مصر
- 21.....المذهبية والعصبية
- 22.....الشافعي وعلم أصول الفقه
- 23.....وفاة الشافعي:
- 24.....كلمة أخيرة (الفقه وأصوله)

مقدمة

هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف. يلتقي مع رسول الله ﷺ في عبد مناف، وهو الجد التاسع للشافعي، والثالث لرسول الله.

وهو الإمام، عالم العصر، ناصر السنة، فقيه الملة، القرشي، المكي. ولد بغزة عام 150 هـ، وقيل أنه ولد في نفس اليوم الذي مات فيه أبو حنيفة، وكانما خبا نجم بالعراق ليسطع نجم في فلسطين، فجاء عالم قریش ليملاً الأرض علماً.

من أجمل ما قاله الشافعي:

وتضيقُ دُنْيَانَا فَنَحْسَبُ أَنَّنَا
سَنَمُوتُ يَأْسًا أَوْ نَمُوتُ نَحْيَا
وَإِذَا بَلَطَ اللهُ يَهْطُلُ فَجَاءَ
يُرْبِي مِنَ الْيَبَسِ الْفُتَاتِ قُلُوبَا
قَلِّ لِلَّذِي مَلَأَ التَّشَاوُمَ قَلْبَهُ .
وَمَضَى يُضَيِّقُ حَوْلَنَا الْآفَاقَا
سِرُّ السَّعَادَةِ حَسَنُ ظَنِّكَ بِالَّذِي
خَلَقَ الْحَيَاةَ وَقَسَمَ الْأَرْزَاقَا ..

والله
أحكم



الشافعي في صباه

مات أبوه إدريس شابا، وكان من جند الثغور المرابطين للجهاد فنشأ محمد يتيما في حجر أمه، وكانت أم الشافعي يمنية فخافت على وليدها أن يضيع نسبه وحقه في بيت المال من سهم ذوي القربى فرجعت به إلى مكة وعمره عامان.

وظروف نشأة الإمام الشافعي كنشأة الإمام أحمد بن حنبل، فكلاهما نشأ يتيما، وكلاهما مات أبوه شابا مجاهدا على ثغور الإسلام، وكلاهما عزفت أمه وهي شابة أرملة عن الزواج، وتفرغت لتربية ولدها فأنبته الله نباتا حسنا ببركة والديه ، ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝﴾

شدة العيش:

كان مرتب الغلام من بيت المال ضئيلا فعاش عيشا ضنكا، ومع ذلك أدخلته أمه الكتاب وظهرت نجابته في سرعة حفظه، ولكنه كان لا يجد أجرة المعلم، فكان يجلس مع الصبيان، وكلما رأى طفلا تعلم شيئا تلقفه منه، ولذلك فقد رأى المعلم ألا يطالبه بالأجرة مقابل قيام الشافعي مكانه في تعليم الصبيان كلما غاب عنهم.

استمر الشافعي بعد ذلك بالمسجد الحرام يجالس علماء الحرم، ولكنه بلغ من شدة العيش والفقر في طفولته أنه كان يحفظ ما يقوله العلماء

ويرجع إلى بيته يبحث عن ورق يدون فيه ما حفظه فلا يجد. ولم يزل يذكر ذلك في أخريات حياته فيقول:

" ما أفلح في العلم إلا من طلبه في القلّة ولقد كنت أطلب ثمن القراطيس (الكراسات) فلا أجده فكنت أكتب على العظام والخزف وكنت أذهب للدواوين أطلب منهم الورق المستعمل لأكتب على ظهره.

وفي وسط هذه الحالة العسيرة حفظ الشافعي القرآن كله وعمره سبع سنين، ولم يكن مجرد حفظ بل كان يعي ويفهم، حتى أنه لما كان عمره 13 عاما أصبح له شأن في المسجد الحرام قالوا: " كنا إذا أردنا أن نبكي قال بعضنا لبعض: قوموا إلى هذا الفتى المطلبي (من بني المطلب) الذي يقرأ القرآن فإذا استفتح القرآن خشع الناس بين يديه وكثر البكاء، فكان الشافعي إذا رأى الناس كذلك أمسك عن القراءة. فإلى هذا الحد كان يفهم القرآن فتبلغ الموعظة هذا المبلغ.

لِسَانَكَ لَا تَذْكُرْ بِهِ عَمْرَةَ أَمْرِي
فَكُلُّكَ عَمْرَاتٌ وَلِلنَّاسِ أَلْسِنُ
وَعَيْنُكَ إِنْ أَبَدْتَ إِلَيْكَ مَعَايِبًا
فَصُنْهَا وَقُلْ يَا عَيْنُ لِلنَّاسِ أَعْيُنُ

تستشعر وأنت تقرأ في سيرة الأئمة الأربعة سعة علمهم جميعا، ولكن عندما تقرأ عن الشافعي خاصة تجد نموذجا فذا في التوسع في الثقافة بكل صورها، فجميع الأئمة درسوا الفقه والحديث عن المشايخ الأعلام، لكن الشافعي أضاف إلى ذلك دراسة اللغة، حيث أدرك أن الكثير من الأحاديث والآيات تحتاج إلى عمق في دراسة اللغة ولذلك اتجه إلى قبيلة هذيل بالصحراء وعاش معهم ليأخذ اللغة من أصولها وهو سمة مذهب الشافعي بعد ذلك فهو يؤصل لكل شيء أصولا، ولا عجب

فالشافعي هو أول من وضع قواعد أصول الفقه

ورغم أن قريشا أهل الكعبة، وأكثر العرب انتقاء لأفصح الألفاظ، لكنها كسائر المدن خالطت أبناء الأم فلم تسلم لغتها، ولذا استمر الكثير من أهلها يرسلون أبناءهم للبادية لتعلم الفصاحة، وقديما تربي رسول الله ﷺ في بادية بني سعد وهو ما فعله الشافعي في بداية حياته حين ذهب لهذيل - وهي قبيلة سيدنا عبد الله بن مسعود - وعندهم يقول حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ: إنهم أشعر قبائل العرب.

وهناك في الصحراء تقشف ورياضةً وفصاحةً وبلاغةً، وهناك تعلم الرمي والشعر، حيث حفظ 10000 بيت من شعر هذيل.

وصار الشافعي الفقيه العالم من أشعر الناس وهو القائل:

لولا الفقه لكنت أشعر الناس

وبقى بهذيل بضع سنين ثم رجع وأقبل على الفقه. وصار أئمة الحرم مثل سفيان بن عيينة وغيره يسألونه في المعاني، فقد صار الحجة في اللغة وعمره يقترب من العشرين.

وكان للشافعي طول حياته بعد ذلك حس بالغ باللغة، فيروى مثلا أن ضيفا زاره في مرضه فقال: كيف تجدك؟ فقال الشافعي: ضعيفا كما ترى، فقال الزائر: قوى الله ضَعْفَكَ. فقال الشافعي: إذن يقتلني. لأنه إذا قوى الله الضعف فهذا يعنى أن الضعف يزيد حتى يقتل صاحبه !!

وبرع الشافعي أيضا في الطب، وكان يتأسف على ما ضيع المسلمون من الطب ويقول: ضيعوا ثلث العلم ووكلوه إلى اليهود والنصارى. وكان يقول:

لا أعلم علما بعد الحلال والحرام أنبل من الطب



الشافعي الإنسان

تزوج الشافعي حميدة بنت نافع بن عيينة بن عمرو بن عثمان بن عفان، وهي حفيدة أمير المؤمنين عثمان، ولم يتزوج غيرها، وله من الأبناء محمد وزينب وفاطمة.. وهذه سمة الأئمة الأربعة فلم يتزوج أحد منهم أكثر من واحدة في وقت واحد، ولم يتخذ أحد منهم جارية مع زوجته رغم شيوع هذا الأمر في هذا العصر، ولم يُطلق أحد منهم زوجته قط. وعاشت معه زوجته حياتها كلها في شدتها وفقرها، حتى أنه أفلس ثلاث مرات فباع متاعه وحُلَى زوجته وابنته ولم يستدن، ومع ذلك لم يكف عن العطاء يمينا وشمالا.

الشافعي الفارس الرامي:

كانت متعة الشافعي في الخيل وركوبها، وكان بارعا في ذلك كما كانت متعته الكبرى في الرمي فكان يقول: "كانت همتي في شيئين: الرمي والعلم، فصرت في الرمي أصيب من عشرةٍ عشرةً، وسكت. فقالوا:

أنت والله في العلم أكثر منك في الرمي

وقال: "كنت ألزم الرمي حتى كان الطبيب يقول لي أخاف أن يصيبك السل من كثرة وقوفك في الحر". ولا عجب فالفتى القرشي تربي في البادية، على نهج رسول الله ﷺ الذي يقول:

ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا صحيح البخاري

وكان رسول الله يصف الفتيان صفوفا ويجعلهم يتنافسون في الرمي ويقول: ارمُوا وأنا معكم كلِّكم. صحيح البخاري

منحت الفروسية الشافعي خلق العلو عن السفاسف والتمكن والاعتدال، ومنحه الرمي البديهة المسعفة واللاتزان والتركيز. وظل الشافعي طوال حياته محبا للفروسية والرمي حتى مر بمصر وهو في الخمسين من عمره بطفل يرمي ويحسن الرمي، فوقف يتفرج عليه ثم قال: أحسنت وبارك الله فيك وقال لمرافقه: ما معك من الدنانير؟ قال ثلاثة دنانير، قال: أعطه إياها واعذرنى إذ لم يحضرني غيرها.



الشافعي ذو النفس المرحّة

وربما تعجب إذا علمت أن الشافعي الإمام الجليل كان ذا روح مرحّة، يستملح الأماليح والظرف والفكاهات وهو ما يميزه أيضا عن باقي الأئمة الأربعة، وربما كانت نشأته البدوية وحياته الرياضية في الجو الصحراوي وراء صفاء نفسه وأريحيته حتى أنه كان يقول:

الوقار في النزهة سخف

ومما يروى عنه أنه في فترة إقامته ببغداد حاول المتفقيّهون في حلق بغداد الذين كانوا يحضرون لمجلس الشافعي أن يلقوا عليه المسائل العويصة، ليُخرجوه ويظهره بمظهر من لا يعلم، فسُئل يوما عن رجل في فمه تمرّة، فحلف إن أكلها فامرأته طالق، وإن طرحها من فمه فامرأته طالق فماذا يفعل؟ فقال الشافعي بذكائه وبروحه المرحّة: يأكل نصفها ويطرح نصفها !!.

وأعطى الشافعي تلميذه ربيع الجيزي ليشتري لحما فاشتري سمكا، فقال له: يا ربيع.. اليوم نأكل شهوتك وغدا نأكل شهوتنا.

وكان يحكي عجائب ما رأى في رحلاته لتلاميذه بمصر، فقد حكى لهم عن أعجب ما رأى بالمدينة فقال: رأيت جدة عمرها ٢١ سنة!!!. ورأيت شيئا قد أتى عليه 90 سنة يدور نهاره حافيا راجلا على الجوّاري يعلمهن الغناء، فإذا جاءت الصلاة صلى قاعدا!!!.

الشافعي الحكيم الشاعر

كان الإمام الشافعي - رحمه الله - بليغا فصيحا وله من الحكم والأقوال ما يشهد بذلك، فمن روائع حكمه وأقواله:

- العلم ما نفع، ليس العلم ما حفظ.
- ولو أعلم أن الماء البارد ينقص مروءتي ما شربته.
- من استغضب فلم يغضب فهو حمار، من استرضى فلم يرض فهو شيطان.
- من نمَّ لك نمَّ عليك.
- وقال له رجل: أوصني، فقال:

إن الله تعالى خلقك حرّاً، فكن حرّاً كما خلقك.

ومن بديع شعره في الدعوة إلى التنقل والترحال:

ما في المقام لذي عقل وذو أدب من راحة فدع الأوطان واغترب
سافر تجد عوضاً عن تفارقه وأنصب فإن لذيق العيش في النصب
ومن شعره أيضا:

إذا نطق السفية فلا تجبه فخير من إجابته السكوت
فإن كلمته فرجت عنه وإن خليته كمدا يموت
ومن شعره:

ولرب نازلة يضيق لها الفتى ذرعا وعند الله منها المخرجُ
ضاققت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لا تفرجُ

الشافعي تلميذ لمالك بالمدينة

تلقي الشافعي علم أئمة الحرم المكي، ثم نوى الرحيل إلى المدينة لينهل من علم محدثها وفتيها مالك بن أنس، كان الشافعي يقول: ما هبت أحدا قط هيبتي مالك بن أنس، فعندما أردت الذهاب إليه لأتعلم منه حفظت الموطأ قبل أن أرحل إليه، وختمت القرآن 16 مرة في الطريق بين مكة والمدينة، وحمل معه خطاب توصية من والي مكة إلى والي المدينة ليقدمه واليان لمالك.

فلما وصل المدينة دفع التوصية إلى والي المدينة وذهبا معا إلى منزل مالك، فطرق الوالي الباب فخرجت له جارية سوداء فقال لها: قليني لمولاي إني بالباب، فدخلت وأبطأت ثم خرجت تقول: إن مولاي يقول لك: إن كانت لك مسألة فارفعها في ورقة حتى يخرج لك الجواب، وإن كان المجيء لشيء آخر فقد عرفت يوم المجلس!!.

فلما توسل له الوالي أن معه خطابا من والي مكة في أمر مهم، أذن لهما فقرأ مالك الخطاب ثم رماه غاضبا وقال:

“ صار علم رسول الله يطلب بالوسائل • أي بالواسطة ”

فتقدم الشافعي وقال: أصلحك الله إني رجل من بني المطلب وحالي كذا وكذا. فلما سمع مالك حديثه نظر إليه وكان لمالك فراسة فقال ما اسمك؟ قال: محمد بن إدريس. قال: يا محمد اتق الله واجتنب المعاصي فسيكون لك شان.

إِنَّ اللَّهَ قَدْ ألقىَ عَلَى قَلْبِكَ نُورًا، فَلَا تَطْفئهَ بِالْعَصِيَةِ

ولزم الشافعي مالك بعدها عشر سنين حتى ورث علمه كله، وظل الشافعي يحفظ فضل مالك عليه حتى أنه كان إذا ذكر مالكا في معرض نقد له لا يذكره باسمه إجلالا له بل يقول:

” قال صاحبنا ” (بمعنى أستاذنا ويقصد الإمام مالك).

لَرُبَّ نازِلَةٍ يَضيقُ لَهَا الفَتى
ذَرعاً وَعِندَ اللَّهِ مِنْهَا المَخْرَجُ
ضاقَتْ فَلَمَّا اسْتَحكَمَتْ حَلَقَاتُهَا
فُرجَتْ وَكُنْتُ أَظُنُّهَا لا تُفْرِجُ

الإمام الشافعي

الشافعي في اليمن

مات الإمام مالك سنة ١٧٩ هـ، وكان الشافعي وقتها أمل قريش في أن يصبح منهم إمام، كما كان مالك بن أنس إماما من المدينة، وكما أبو حنيفة أماما من العراق، ولكن الشافعي - على سعة علمه وقتئذ - كان يشعر أنه لا يزال يحتاج للمزيد فما زال مثلا يحتاج إلى علم أهل العراق فهم أهل الرأي، وعلم أهل اليمن فهم أهل الحكمة والحديث.

وأتفق أن قدم قاضي اليمن إلى المدينة فكلمه بعض القرشيين ليصحب معه الشافعي للعمل معه، وصادف ذلك رغبة عند الشافعي ليخرج من ضيق العيش الذي بلغ أشده آنذاك حتى أنه لم يكن يملك نفقة السفر فرهنت أمه الدار لتعاونه على السفر، وفي نجران استعمله الوالي في أعمال كثيرة فأداها بنجاح وأثنى عليه الناس.

ولكن بعض الفقهاء في مكة سفهوا رأيه بالسفر سعيا وراء الرزق، لأنه في رأيهم قد ترك جلسات العلم، فقال بعضهم له: "تجالسوننا وتسمعون منا فإذا ظهر لأحدكم شيء من الدنيا دخل فيه". وكان سفيان بن عيينة أرفق قليلا به من غيره، فقال له: "قد بلغنا ولايتك بنجران، فما أحسن ما انتشر عنك، وأديت الذي عليك، ولكن لا تعد".

والإمام الشافعي يرى أن الاستقرار النفسي والمعيشي ضروري للفقهاء. أليس هو القائل:

لا تشاور من ليس في بيته دقيق؛ فإنه مؤله العقل (مشغول)

البال

وجمع الشافعي باليمن كتب الفراسة وبرع فيها، وكان الشافعي ألمعياً لماحا، فقد مر يوماً في طريق برجل أزرق العينين، وفي جبهته نتوء، قال الشافعي في نفسه: "هذا أخبث ما يكون إن صدقت فراستي فيه"، وسأله الشافعي هل من منزل؟ قال: نعم، ثم يروي الشافعي أن الرجل أنزله خير منزل وأكرمه أحسن الكرم، فقال الشافعي في نفسه عن علم الفراسة هذا علم باطل يشير إلى سابق فراسته في الرجل، فلما أصبح وعزم على الرحيل قال للرجل: إذا نزلت مكة فاسأل عن محمد بن إدريس الشافعي. فقال الرجل: أمولى أبيك أنا؟ أين ثمن المبيت والأكل وعلف الدابة واللحاف والعطر. فعظم اعتقاد الشافعي في الفراسة!!.

ومما روي عن ذكائه أنه كان ذات مرة جالساً مع بعض تلاميذه، فمر رجل فقال أحد تلاميذه: «يا أبا عبد الله انظر في هذا»، فنظر إليه وأطال، فقال: «أعيالك أمره؟»، قال الشافعي: «نعم أعياني أمره، لا أدري "خياط أو نجار؟"، فقاموا فسألوا الرجل: «ما صناعتك؟»، قال: كنت نجاراً وأنا اليوم خياط!!.



محنة الإمام الشافعي

العجيب في سيرة الأئمة الأربعة أن كل واحد منهم على عظم علمه وجاهه لم يسلم من الحاسدين أو ظلم الولاة أو بطش الحكام... وكان لكل منهم حظه في الابتلاء ، ﴿ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ ، فالإمام أحمد حبس وجلد، وكذلك أبو حنيفة، وجلد الإمام مالك وشهر به، ونحن الآن أمام محنة الإمام الشافعي والتي جاءت مبكرا عن بقية الأئمة الذين امتحنوا في آخر حياتهم.

كان الإمام الشافعي قد علا شأنه في اليمن، وكان في اليمن وال ظلوم غشوم، وكان الشافعي يأخذ على يديه ويمنعه من ظلمه، فشكاه الوالي إلى هارون الرشيد وادعى عليه ظلما أنه يؤلب ضد الخلافة وأنه: يعمل بلسانه ما لا يقدر المقاتل بسيفه.

وألحق الشافعي بقضية محاولة الانقلاب على الحكم، وسيق المتهمون فيها إلى الرشيد ببغداد وكانوا تسعة من العلويين (الذين ينتهي نسبهم إلى الإمام على رضى الله عنه) المطالبين بالخلافة، فتم ضم الإمام الشافعي ظلما إليهم، وحشروا مغلولة أيديهم إلى أعناقهم إلى مجلس الرشيد، وقاضيه يومئذ محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة، وتلميذ سابق للإمام مالك، وأعلم علماء العراق وقتئذ.

ويروي الشافعي حديث المحاكمة فيقول: ضربت أعناقهم واحدا واحدا دون رحمة، ثم تقدم الشافعي والدماء تسيل حوله فقال له الرشيد: "أنت الخارج علينا والزاعم أنني لا أصلح للخلافة"، فقال الشافعي: يا أمير المؤمنين لست بعلوي، وإنما أدخلت في القوم ظلما، وأنا رجل من بني المطلب بن عبد مناف بن قصي، ولي حظ من العلم والفقہ والقاضي يعرف ذلك. فقال محمد بن الحسن الشيباني: يا أمير المؤمنين أن له بالفعل محل كبير من العلم وليس الذي رفع عليه من شأنه.. فأجلاه الرشيد وعفا عنه. فكان الشافعي يذكر لمحمد بن الحسن موقفه هذا طوال حياته.



مسجد الإمام الشافعي بالقاهرة

سلطات

قدم الشافعي إلى بغداد مرة أخرى عام 195 هـ بعد وفاة الرشيد بعامين ليبقى فيها عامين كاملين، فكان أول شيء فعله أن ذهب إلى مقابر الخيزران حيث دفن الإمام أبو حنيفة وصلى هناك ركعتين، ولم يرفع يده خلافا لمذهبه احتراما لمذهب الإمام الأعظم الراقد في مقبرته !!. وكان يقول:

النَّاسُ عِيَالٌ فِي الْفِقْهِ عَلَى أَبِي حَنِيفَةَ.

ويتكرر نفس الموقف منه حين يذهب لمصر فيكون أول ما يفعله زيارة قبر الليث بن سعد فقيه مصر.

وجد الشافعي ببغداد صورة كاملة للمدرستين الفكريتين من أصحاب الحديث وأصحاب الرأي، فأصحاب مدرسة الحديث يحفظون الأخبار والسنن ولا يجتهدون إلا في النازلة، أما أصحاب الرأي فكانوا أصحاب النظر والجدل.

وكان الشافعي هو الوسط بينهما أو هو الضابط لكليهما وتميز الشافعي عن سبقة فوضع أصولا للفقهاء وضوابط للقياس والاجتهاد وهذا أبرز ما يميز مدرسة الإمام الشافعي. وكان يقول:

إذا صح الحديث فهو مذهبي، وإذا صح الحديث فاضربوا

بقولي عرض الحائط

الشافعي وأخلاق العالم

كان للشافعي ضوابط شرعية وخلقية أيضا في محاوراته ، فهو يقول: ما ناظرت أحدا قط على الغلبة". ويقول:

ما ناظرت أحدا قط فأحبت أن يخطئ

ويقول أحد العلماء المعاصرين واسمه يونس الصدفي: ما رأيت أعدل من الشافعي، ناظرته يوما في مسألة ثم افترقنا ولقيني فأخذ بيدي ثم قال: يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخوانا وإن لم نتفق في المسألة؟!.

ولما أقام ببغداد غزت أخلاق الشافعي قلوب أهل بغداد قبل عقولهم حتى قالوا: كان بالمسجد قبل قدوم الشافعي 50 حلقة فلما دخل بغداد مازال يقعد في حلقة حلقة، يقول: قال الله وقال الرسول، وهم يقولون قال أصحابنا، حتى لم يبق في المسجد إلا حلقة واحدة هي حلقة الشافعي.

وحلقة الإمام الشافعي ببغداد كان يجلس فيها متعلما للإمام أحمد بن حنبل كما هو معروف، فالشافعي أستاذ للإمام أحمد بن حنبل وتلميذ الإمام مالك، ولقد نُقل إليه علم الإمام أبي حنيفة عن طريق محمد بن الحسن الشيباني.. فهو الإمام الوحيد الذي اتصل بعلم الأئمة الأربعة جميعا.

الشافعي في مصر

شاء الله أن تكون نهاية رحلة الشافعي بمصر، حيث استقر بها بعد رحلة البحث عن العلم، فحمل علمه معه إلى مصر ليؤسس هناك مذهبه.

ولما وصل الشافعي مصر سبقته سمعته من مكة والمدينة وبغداد، ولم يكن مجرد عالم أو أستاذ بل ينتهي نسبه أيضا إلى الرسول ﷺ، وأهل مصر معروفون بحبهم لأهل البيت ورغم أن أهل مصر كانوا قبله على مذهب الإمام مالك لكنهم انقسموا بين مالكية وشافعية بعد قدمه.

بل إن ابن شيخ المالكية صار من أتباع الشافعي، فقد جذب الشافعي المصريين بمنطقه وخطابته وصلاته ونسكه وروحه المرححة. وقال أحد معاصريه:

• بت مع الشافعي ثمانين ليلة، كان يصلي نحو ثلث الليل، لا يمر بأية رحمة إلا سأل الله لنفسه وللمؤمنين أجمعين، ولا يمر بأية عذاب إلا تعود بالله منها، وسأل النجاة لنفسه ولجميع المسلمين، وكأنما جمع له الرجاء والرهبة.

وأقام الشافعي بمصر حوالي خمس سنين حتى سنة 204 هـ، أملى فيها أكثر فقهه وأبرز ما كتبه كان كتاب الأم والرسالة.

المذهبية والعصية

ولما رأى الشافعي أن الناس في مصر يتبركون بلقنسوة الإمام مالك ويستسقون بها المطر، فإذا قيل لهم: قال رسول الله ﷺ كذا وكذا، يقولون: "قال مالك"، فلما رأى ذلك وضع رسالة بعنوان:

خلاف مالك

أوضح فيها أن مالك بشر يصيب ويخطئ، وظل يستخير الله سنة حتى أخرج هذا الكتاب مهابة لأستاذه القديم ولكن الحمقى من المتعصبين لمذهب مالك شكوه للوالي واتهموه بتفريق المسلمين، وطلبوا إخراجهم من مصر إلا أن الوالي كان محبا للشافعي فلم يسمع لهم.

ويبدو أن هذا كان بداية التخلف حيث سنشهد بعد قرن ذروة التعصب للمذاهب حيث كان الوالي الحنفي في بلاد ما وراء النهر مثلا يمر بمسجد الشافعية فيقول:

"أما أن لهذه الكنيسة أن تغلق!!"

فيسد أتباعه الباب بالطين اللبن.



الشافعي وعلم أصول الفقه

علم أصول الفقه هو علم يضع قواعد لاستنباط الأحكام الشرعية من مصادرها الصحيحة، هذه القواعد كانت حاضرة في أذهان فقهاء الصحابة والتابعين في الصدر الأول، وبعد انتهاء فترة الصدر الأول احتاج الفقهاء والمجتهدون إلى وضع قواعد وطرق لاستنباط الأحكام من مصادر التشريع (تسمى الأدلة التفصيلية كما في الشكل الموجود في نهاية الكتيب، والذي يلخص أبرز العناوين التي تدرس في هذا العلم الواسع).

وكان الشافعي رضي الله تعالى أول من كتب في علم أصول الفقه، وذلك في كتابه المشهور: الرسالة.

ولذلك اتفق العلماء على أن مجدد الإسلام في القرن الثاني هو الشافعي، حيث قال **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: "إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِئَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا" **صحيح أبي داود**، فقالوا: كان عمر بن عبد العزيز على رأس المائة الأولى، والشافعي على رأس المائة الثانية. فقد أسس لمنظومة فكرية رائعة خدمت ومازالت تخدم الدين إلى يومنا هذا.



وفاة الشافعي:

أحس الشافعي باقتراب رحيله حيث كان قد أصيب بداء البواسير، وكان النزيف لا ينقطع منه في أيامه الأخيرة حتى تقبوا له الفراش ووضعوا تحته طست. وكان رحمه الله يقول في مرضه: اللهم إن كان لك فيه رضا فزد.

ودخل عليه تلميذه وقال كيف أصبحت؟ فقال:

**أصبحت من الدنيا راحلاً.. وللإخوان مفارقاً.. ولكأس المنية
شارباً.. ولسوء عملي لاقياً.. وعلى الله وارداً..**

والله ما أدري روعي تسير إلى جنة أو إلى نار؟

ثم طلب في الليلة التي مات فيها أن يقرأوا عليه من بعد الآية 120 في سورة آل عمران، وصعدت روحه لبارئها والقرآن يتلى عليه ليلة الجمعة ودفن بعد عصر الجمعة ٢٩ رجب 204 هـ.

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: قلت لأبي: «أي رجل كان الشافعي، فإنني أسمعك تكثر من الدعاء له؟»، فقال لي:

**يا بني، كان الشافعي كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس،
فانظر هل لهذين من خلف أو منهما عوض**

وقال أحمد بن حنبل:

ما مس أحدٌ محبرةً وقلماً إلا وللشافعي في عنقه منةٌ.

كلمة أخيرة (الفقه وأصوله)

علم أصول الفقه هو علم يضع القواعد التي تستخدم في استنباط الأحكام الشرعية من مصادر التشريع الإسلامي. بمعنى أنه علم يؤصل للقواعد والشروط التي تبين للفقيه المسلك الذي يجب عليه أن يلتزمه عند استخراج الأحكام من مصادر التشريع.

ومصادر التشريع هي: الكتاب والسنة والإجماع والقياس وهذه الأربعة هي المصادر الأساسية المتفق عليها عند جمهور الفقهاء، وما عداها مختلف في تفاصيل الاستدلال بها. وتشمل: الاستحسان والمصالح المرسلة، والعرف، وعمل أهل المدينة عند المالكية، وقول الصحابي.

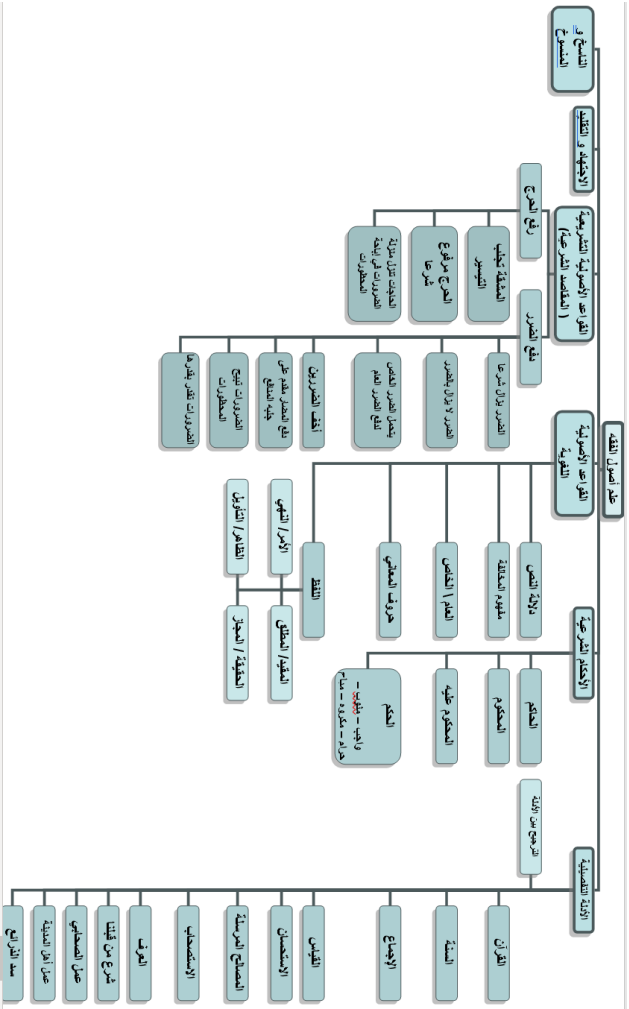
أما علم الفقه فهو معرفة الحكم الشرعي (حرام وواجب ومستحب ومكروه ومباح، إلخ) في الأمور التي تحتاج إلى فهم واجتهاد. بمعنى أن من يعلم أن الزنا حرام وأن الصلوات الخمس فرض لا يقال عنه أنه فقيه لأن هذه الأحكام قطعية ولا تحتاج لفقيه، لكن الفقيه مثلاً من يعلم أن النية في الوضوء واجبة، وأن الوتر مندوب، وأن الزكاة واجبة في مال الصبي، وغير واجبة في الحلي المباح، ونحو ذلك من مسائل التي تحتاج إلى اجتهاد.

وقد بدأ علم الفقه في عصر كبار الصحابة رضوان الله عليهم، حيث إنهم كانوا يستنبطون الأحكام الشرعية لتطبيقها على وقائع وأحداث جديدة، لكنهم كانوا على دراية تامة باللغة العربية، وأسباب نزول القرآن،

والناسخ والمنسوخ، إلى غير ذلك فلم يحتاجوا إلى من يضع لهم قواعد لاستنباط هذه الأحكام الجديدة.

ثم في عهد التابعين ومن بعدهم كثرت الحاجة إلى وجود أدوات لاستنباط الأحكام بسبب كثرة الحوادث والمستجدات الناتجة عن اتّساع البلاد الإسلاميّة، فدعت الحاجة إلى وضع قواعد مُحدّدة للسير عليها في استنباط الأحكام. فوضع العلماء علم أصول الفقه الذي يندرج تحته عدد من الدراسات (الفروع) كما في الشكل بنهاية الكتيب.

وتعتبر دراسة المقاصد الشرعية وتُسمى أيضاً بالقواعد الفقهية، أحد فروع علم أصول الفقه، وهي عبارة عن قواعد عامة تطبق عند استنباط الأحكام في الفقه لاسيما في مجال دفع الضرر ورفع الحرج، مثل: الأمور بمقاصدها، لا ضرر ولا ضرار، الضرورات تبيح المحظورات، ودفع الضرر مقدم على جلب المنفعة، وغيرها.



هذه الكتيبات

هذه المحاولة في تلخيص تاريخ الشخصيات المميزة عبر تاريخنا الإسلامي أخذت منى سنين طويلة حتى أصل إلى هذه النتيجة.

ومن وجهة نظرى تتميز هذه الكتيبات بما يلي:

- 1- جميع الأحاديث النبوية الواردة فى الكتيبات تم تخريجها للتأكد من صحتها. مع تجنب ذكر أي رواية غير موثقة.
- 2- التركيز فقط على الجوانب الإيمانية والخلقية في الشخصية.
- 3- التعليقات فى الحدود الدنيا، منعا للتطويل لكنى أضفت كلمة أخيرة في نهاية معظم الشخصيات للحديث عن أبرز سمة.
- 4- اللغة السهلة في الكتابة لتتناسب عموم الناس.
- 5- الحجم الصغير بحيث لا يستغرق قراءته أكثر من 20 دقيقة.

في النهاية **أؤكد على أنى لست عالم دين، ولكنى مسلم عادى يحاول خدمة دينه** بعرض هذه النماذج من تاريخنا بالصورة اللائقة دون تزويق أو تزوير، بهدف الاقتداء المستتير بهذه الشخصيات.

جميع الكتيبات تجدها في موقعى www.drgilany.com

هذه الكتيبات وقف لله تعالى على روح والدتى رحمها الله.